

تفسير البحر المحيط

@ 299 @ احتمالاً هو قول المعتزلة ، قالوا : الهاء كناية عن ابراهيم لا عن الكافر الذي حابه ، لأن ا[] تعالى قال : { لَا يَنْذَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } والملك عهد منه ، وقال تعالى : { مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدَءَاتِيذًا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتِيذَاهُمْ مَّؤْلُكَاءَ عَظِيمًا * الْحِكْمَةَ * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ } ورد قول المعتزلة بأن ابراهيم ما عرف بالملك ، ويقول الكافر : أنا أحيي وأميت ، ولو كان إبراهيم الملك لما كان يقدر على حاجته في مثل هذه الحالة ، وبأنه لما قال : أنا أحيي وأميت ، جاء برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، ولو لم يكن ملكاً لم يقتل بين يدي ابراهيم بغير إذنه ، إذ كان ابراهيم هو الملك ، ولا يرد على المعتزلة بهذه الأوجه ، لأن إثبات ملك النبوة لإبراهيم لا ينافي ملك الكافر ، لأنهما ملكان : أحدهما : بفضل الشرف في الدين كالنبوة والإمامة . والآخر : بفضل المال والقوة والشجاعة والقهر والغلبة والاتباع . وحصول الملك للكافر بهذا المعنى يمكن ، بل هو واقع مشاهد . .

وقال الزمخشري : { فَاِنَّ * قُلُوءَ } : كيف جاز أن يؤتى ا[] الملك الكافر ؟ . { قُلُوءَ } : فيه قولان : آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع ، وأما التغليب والتسليط فلا ، وقيل : ملكة امتحاناً لعباده . إنتهى . وفيه نزعة اعتزالية ، وهو قوله : وأما التغليب والتسليط فلا ، لأنه عندهم هو الذي تغلب وتسلط ، فالتغليب والتسليط فعله لا فعل ا[] عندهم . .

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي } هذا من ابراهيم عن سؤال سبق من الكافر ، وهو أن قال : من ربك ؟ وقد تقدّم في قصته شيء من هذ ، وإلا فلا يبتدأ كلام بهذا . .

واختص إبراهيم من آيات ا[] بالإحياء والإماتة لأنهما أبدع آيات ا[] وأشهرها ، وأدلها على تمكن القدرة ، والعامل في إذ حاج ، وأجاز الزمخشري أن يكون بدلاً من : أن آتاه ، إذاً جعل بمعنى يالوقت ، وقد ذكرنا ضعف ذلك ، وأيضاً فالطرفان مختلفان إذ وقت إيتاء الملك ليس وقت قوله : { رَبِّىَ الَّذِي يُحْىِ وَيُؤْمِتُ } وفي قول إبراهيم : { رَبِّىَ الَّذِي يُحْىِ وَيُؤْمِتُ } تقوية لقول من قال إن الضمير في قوله : في ربه ، عائد على إبراهيم . .

وربي الذي يحيي ويميت ، مبتدأ وخبر ، وفيه إشارة إلى أنه هو الذي أوجد الكافر ويحييه

ويميته ، كأنه قال : ربي الذي يحيي ويميت هو متصرف فيك وفي أشباهك بما لا تقدر عليه أنت ولا أشباهك من هذين الوصفين العظيمين المشاهدين للعالم اللذين لا ينفع فيهما حيل الحكماء ولا طب الأطباء ، وفيه إشارة أيضاً إلى المبدأ والمعاد وفي قوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَـهَ } دليل على الاختصاص لأنهم قد ذكروا أن الخبر ، إذا كان بمثل هذا ، دل على الاختصاص ، فتقول : زيد الذي يصنع كذا ، أي : المختص بالصنع . .

{ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ } لما ذكر إبراهيم أن ربه الذي يحيي ويميت عارضه الكافر بأنه يحيي ويميت ، ولم يقل : أنا الذي يحيي ويميت ، لأنه كان يدل على الاختصاص ، وكان الحس يكذبه إذ قد حيي ناس قبل وجوده وماتوا ، وإنما أراد أن هذا الوصف الذي ادعيت فيه الاختصاص لربك ليس كذلك ، بل أنا مشارك في ذلك . قيل : أحضر رجلين ، قتل أحدهما وأرسل الآخر ، وقيل : أدخل أربعة نفر بيتاً حتى جاعوا ، فأطعم اثنين فحيا ، وترك اثنين فماتا ، وقيل : أحيا بالمباشرة وإلقاء النطفة ، وأمات بالقتل . .

وقرأ نافع بإثبات ألف : أنا إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مضمرة . وروى أبو نشيط إثباتها مع الهمزة المكسورة . وقرأ الباقر بحذف الألف ، وأجمعوا على إثباتها في الوقف ، وإثبات الألف وصلًا ووقفًا لغة بني تميم ، ولغة غيرهم حذفها في الوصل ، ولا تثبت عند غير بني تميم وصلًا إلاَّ في ضرورة الشعر نحو قوله : % (فكيف أنا وانتحالي القوافي % . بعد المشيب كفى ذاك عاراً .

%)